

سلسلة أجنحة غزة الصامدة

على أكتاف أخي البطل

1

أمة الرحمن

سلسلة أئمة عزة الصامدة

على أكتاف أخي البطل

1

أمة الرحمن

فِي إِحْدَى لَيَالِي غَزَّةَ الْحَالِكَةِ، حَيْثُ يَنَامُ
الْأَهَالِي عَلَى أَصْوَاتِ الْإِنْفِجَارَاتِ، وَتَمْتَدُّ
السَّمَاءُ بِظَلَامٍ يَخْتَرِقُهُ أَزِيزُ الطَّائِرَاتِ
الْحَرْبِيَّةِ، كَانَ التُّرُوحُ عُنْوَانَ كُلِّ بَيْتٍ.
جَلَسَتْ أُمُّ يُوسُفَ تَجْمَعُ مَا تَبَقِيَ مِنْ مَتَاعٍ،
وَالدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهَا، وَبَيْنَ ثَنَائَا
مَلَامِحِهَا الْخَوْفُ، وَهِيَ تُرَدِّدُ:
- «يَجِبُ أَنْ نَخْرُجَ بَاكِرًا... قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ
الْقَصْفُ عَلَى حَيِّنَا مِنْ جَدِيدٍ!»



يُوسُفُ، الطِّفْلُ ذُو العَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَقَفَ عِنْدَ
بَابِ العُرْفَةِ. عَيْنَاهُ الوَاسِعَتَانِ لَمْ تُخْفِيَا
قَلْقَهُ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ قَدِ اعْتَادَ رُؤْيَةَ الخَرَابِ،
وَلَمْ يَعْذُ يَسْتَعْرِبُ رَائِحَةَ الدَّمَاءِ. أَذْرَكَ أَنَّ
الرَّحِيلَ قَادِمٌ نَحْوَ مَكَانٍ مَجْهُولٍ، وَأَنَّ عَلَيهِ
أَنْ يَكُونَ رَجُلَ البَيْتِ.



فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ الْمُهْدَمِ، جَلَسَتْ رِيْمٌ، أُخْتُهُ
الصَّغِيرَةُ، بِالْكَادِ تَسْتَطِيعُ رَفْعَ قَدَمَيْهَا.
أَضْعَفَهَا الْجُوعُ وَالْإِرْهَاقُ، وَعَيْنَاهَا اللَّامِعَتَانِ
لَمْ تُخْفِيَا خَوْفَهَا وَلَا ضَعْفَهَا.

إِقْتَرَبَ يُوسُفُ مِنْهَا، وَجَلَسَ بِجَانِبِهَا، وَقَالَ
بِصَوْتٍ هَادِيٍّ يُشْبِهُ الْوَعْدَ:

- «لَا تَخَافِي يَا رِيْمٌ... سَأَحْمِلُكَ أَنَا. لَنْ
نَتْرُكَكَ حَلْفَنَا.»



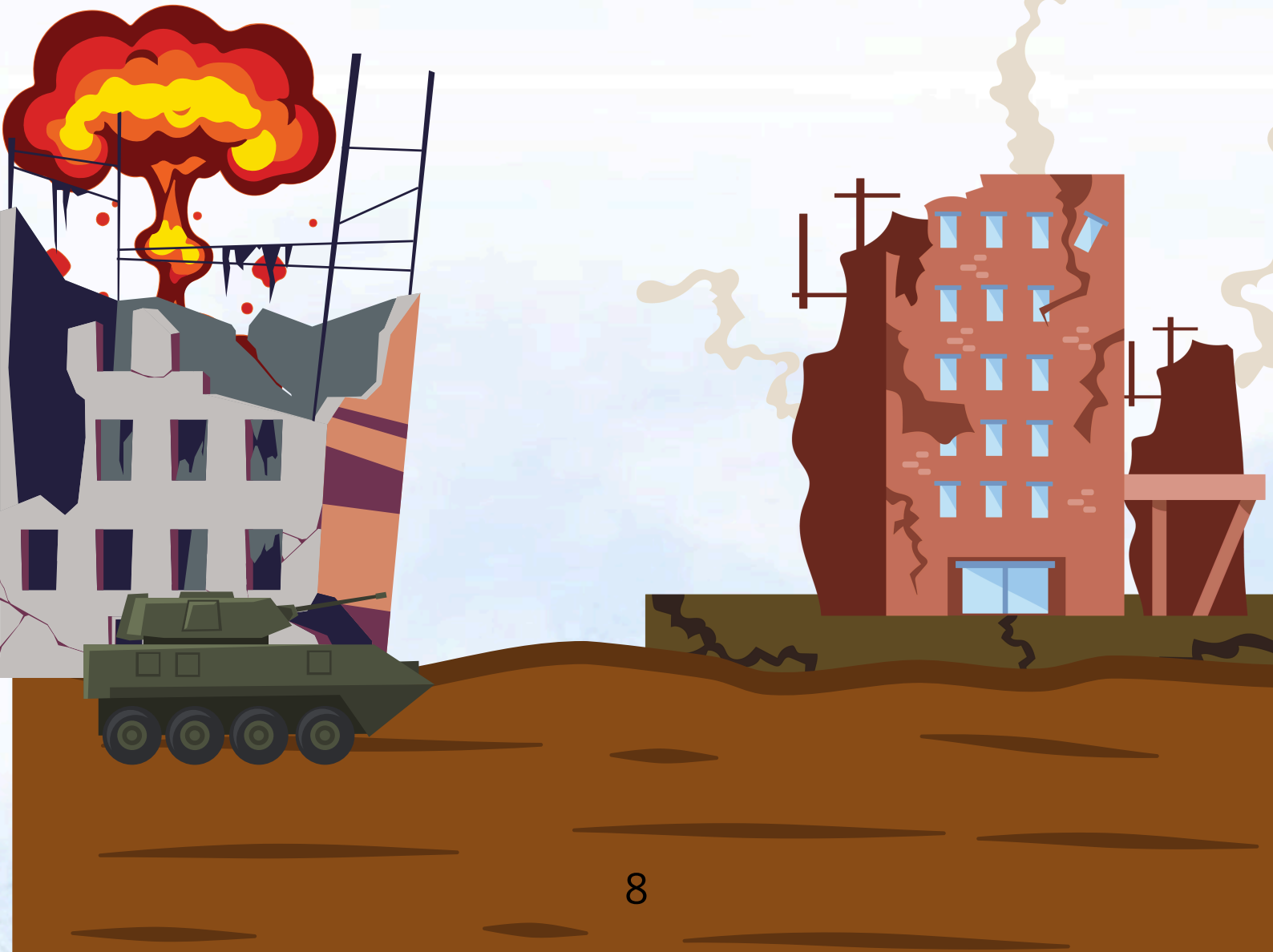
مَعَ سَاعَاتِ الصَّبَاحِ الْأُولَى، تَأَهَّبَ الْجَمِيعُ
لِلْخُرُوجِ. كَانَتْ أُمُّ يُوسُفَ تَحْمِلُ مَا
اسْتَطَاعَتْ مِنْ مَتَاعٍ، وَخَلْفَهَا مَرْيَمُ، الْإِبْنَةُ
الْكُبْرَى، تَتَأَرْجِحُ تَحْتَ ثِقَلِ مَا تَحْمِلُهُ.
أَمَّا يُوسُفُ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ رِيمِ، رَفَعَهَا بِيَدَيْهِ
الصَّغِيرَتَيْنِ عَلَى كَتِفَيْهِ، وَثَبَّتْ ذِرَاعَيْهَا حَوْلَ
عُنُقِهِ. كَانَ الْحِمْلُ أَثْقَلَ مِنْ جَسَدِهِ النَّحِيلِ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَتَرَدَّدْ لَحِظَةً، فَقَدْ عَزَمَ أَنْ يَحْمِيَهَا
مَهْمَا كَلَّفَهُ الْأَمْرُ.



إِنطَلَقُوا فِي الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ الْمُمْتَدِّ عَلَى
اتِّسَاعِ الْخَرَابِ. تَحْتَ أَقْدَامِ يُوسُفَ كَانَ
الْعُبَارُ يَتَطَايَرُ، وَحَوْلَهُ أَكْوَامُ الرُّكَّامِ تَزْوِي
بَشَاعَةَ الْحَرْبِ وَشِرَاسَةَ الْعُدْوَانِ.
بَيْنَ الْحُطَامِ ظَهَرَتْ قِطْطٌ هَزِيلَةٌ تَبْحَثُ
عَنْ طَعَامٍ، حَتَّى الْحَيَوَانَاتُ لَمْ يَرْحَمَهَا
الِإِحْتِلَالُ مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ.



إِرْتَفَعَ فِي السَّمَاءِ صَوْتُ الطَّائِرَاتِ تُرَاقِبُهُمْ.
لِلْحَظَّةِ، شَعَرَ يُوسُفُ أَنَّ الْعُيُونَ تَتَرَصَّدُ
خُطَوَاتِهِ الصَّغِيرَةَ. كُلَّمَا دَوَى انْفِجَارٌ قَرِيبٌ،
ضَمَّ ذِرَاعَيْ أُخْتِهِ بِقُوَّةٍ أَكْبَرَ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا:
«لَنْ يَاخُذُوكِ مِنِّي.»



كَانَتْ كُلُّ خُطْوَةٍ تُثْقِلُ جَسَدَهُ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ
تُخْتَبِرُ صَبْرَهُ. فِي لَحْظَةٍ ضَعِيفٍ، سَأَلَتْ
دُمُوعُهُ كَالْمَطَرِ، شَعَرَ بِالْعَجْزِ وَالْجُوعِ
وَالْعَطَشِ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُسَاعِدُهُ؛ فَالْكُلُّ
يَزْرَحُ تَحْتَ هَمِّهِ الثَّقِيلِ. وَلَكِنَّهُ مَسَحَ
دُمُوعَهُ، وَاسْتَجْمَعَ أَنْفَاسَهُ، وَهَمَسَ لِنَفْسِهِ:
«لَنْ أَنْهَزَمَ... سَأَسْتَمِرُّ.»



سَمِعَتْ رِيْمٌ كَلِمَاتِهِ الْمُبَعَثَرَةَ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْ
أُذُنِهِ وَهَمَسَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ:
«أَنَا أُحِبُّكَ يَا أَخِي...»

إِبْتَسَمَ يُوسُفُ رَغَمَ الْعَرَقِ الْمُتَصَبِّبِ عَلَى
جَبِينِهِ، وَمَسَحَ دُمُوعَهُ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى
عَزِيمَةٍ، وَقَالَ:
«نَحْنُ أَبْنَاءُ غَزَّةَ الْعِرَّةِ... قُلُوبُنَا لَا تَنْهَزِمُ أَمَامَ
مُحْتَلٍّ غَاشِمٍ.»



مَرَّتِ الدَّقَائِقُ كَأَنَّهَا سَاعَاتٌ، وَالْمَشْيُ مَعَ رِيْمٍ
عَلَى كَتِفَيْهِ جَعَلَ الطَّرِيقَ ثَقِيلًا جِدًّا، وَلَكِنَّ
رَحْمَةَ اللَّهِ تُحِيطُ بِعِبَادِهِ.

لَمَحَ يُوسُفُ فِي الْأُفُقِ النَّاسَ وَقَدْ تَجَمَّعُوا...
هُنَاكَ الْمَلْجَأُ الْجَدِيدُ! لَقَدْ وَصَلُوا أُخِيرًا.



وَصَلَّتِ الْأُسْرَةَ إِلَى قِطْعَةِ أَرْضٍ فَارِغَةٍ، لَا شَيْءَ فِيهَا سِوَى بَعْضِ الصُّخُورِ الْمُتَرَامِيَةِ. هُنَا سَيُقِيمُونَ حَيَاتَهُمْ.

أَنْزَلَ يُوسُفُ أُخْتَهُ بِرِفْقٍ، وَأَسْنَدَهَا إِلَى صَدْرِهِ. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ طِفْلٍ يَحْمِلُ أُخْتَهُ، بَلْ صَارَ رَمْزًا لِأُمَّةٍ بِأَكْمَلِهَا، تَجَسَّدَتْ فِيهِ التَّضْحِيَةُ وَالْبُطُولَةُ.



لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ صَبْرَهُ عَلَى حَمْلِ أُخْتِهِ
طَوَالَ هَذِهِ الْمَسَافَةِ أَنْقَذَ حَيَاتَهَا، وَوَثَّقَ
مَشْهَدًا خَالِدًا مِنْ حِقْبَةِ خَالِكَةٍ فِي تَارِيخِ
غَزَّةَ، حَيْثُ صَفَدَتِ الطُّفُولَةُ فِي وَجْهِ
الْقَصْفِ وَالْحِصَارِ.



لَقَدْ عَلَّمَ يَوْسُفَ الْجَمِيعَ أَنَّ الْبُطُولَةَ لَا
تَحْتَاجُ سِلَاحًا، بَلْ تَحْتَاجُ قَلْبًا نَقِيًّا وَإِرَادَةً
تَضُمُّ أَمَامَ الطُّغْيَانِ.

لَمْ يَجِدْ يَوْسُفُ وَقْتًا لِيَسْتَرِيحَ، إِذْ سَارَ
لِمُسَاعَدَةِ أُسْرَتِهِ فِي نَضْبِ الْخِيَامِ، قَبْلَ أَنْ
يُسْدِلَ اللَّيْلُ سِتَارَهُ. أَمَّا رِيْمٌ، فَقَدْ نَامَتْ
عَمِيقًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَعْدَ أَنْ شَعَرَتْ بِالْأَمَانِ،
وَقَدْ مَلَأَ قَلْبَهَا الْإِعْتِرَازُ بِأَخِيهَا الْبَطْلِ.





www.ketaeb.com